

شعراء الوطنية

للأستاذ عبد الرحمن الرافعي

التأصلة في نفسه الحساسة . لجادت قريحته وهو في باريس
بقصيدة عبر فيها عن الحنين إلى الوطن وأهله ، والإشادة
بمفاخره . قال في مطلعها :

ناح الحمام على غصون البان فأباح شيمة منرم ولهان
وانتقل إلى التفتي بمصر وذكر محاسنها وقال :

هذا لعمري إن فيها سادة قد زينوا بالحسن والإحسان
يا أبها الخافي عليك فخارها فأليك أن الشاهد الحسان

ولئن حلفت بأن مصر لجنة وقطوفها للأفانين دوان
والليل كوثرها الشهي شرابه لأبر كل البر في إيمان

وله قصائد ومنظومات وطنية قالها في مناسبات مختلفة
فانظر إلى القصيدة الآتية تجدها تعبر عما يجيش في

نفسه من أكرم المواطف وأبلها . وقد قدمها هو بقوله
« وقلت أيضا وطنية » . فالروح الوطنية تمشي حتى في

تقديمه لقصائده قال :

يا صاح حب الوطن حلية كل فطن

حجة الأوطان من شب الإيمان

في أنغر الأدبان آية كل مؤمن

مساقط الرؤوس تلذ للنفوس

تذهب كل بوس عنا وكل حزن

ومعمر أبي مولد لنا وأزهي عتد

ومربع ومعه للروح أو للدين

شدت بها العزائم نيطت بها التمام

لطبنا تلامم في السر أو في الملن

مصر لها أياد عليا على البلاد

ونخرها ينسادي ما المجد إلا ديدنى

الكون من مصراتبس نورا وما عنه احتبس

نفر قديم مؤثر عن سادة وبشر

زهور مجد تفتت منها العقول تجتني

دار نعيم زاهيه ومعدن الرفاهيه

آمرة وناهيه قدما لكل المدن

قوة مصر القايره على سواها ظاهره

وبالعصار زاهيره خمت بذكر حزن

أصبح للناحية الوطنية في الشعر العربي الحديث نصيب
كبير في مصر جدير بالتدوين والتقدير . فالشعراء الذين
استلهموا وحى الوطنية في قصائدهم ، واهتزت لها مشاعرهم ،
واستجابوا إلى نداء الوطن في دنيا الشعر والفن والخيال ؛
وكانوا مرآة صادقة لمصرهم ، ومصدر إلهام وتوجيه
لمواطنيهم ، وترجانا لهم في آلامهم وآلامهم ، وأحاسيسهم
وأهدافهم ؛ هؤلاء خليقون بالتحدث عن شخصياتهم
ودراسة أشعارهم الوطنية . كل منهم بمقدار ما أنتج وأثر
وأجاد وأبدع

فن أين نبدأ هذه الدراسة ؟

يبدو لي أن الروح الوطنية قد بدأت تغذي الشعر
المصري ، وتبث فيه من حياتها وبهائها ، وتضفي عليه
من جلالها وجلالها ، منذ أوائل القرن التاسع عشر . فإلى
هذا العهد نبدأ بالحديث عن (شعراء الوطنية)

رفاعة رافع الطرطاري

١٨٧٣ - ١٨٠١

هو أول رائد لهيئة العلم والأدب في النصف الأول
من القرن التاسع عشر . كان شاعراً رقيقاً بالقياس إلى
عصره . أشربت نفسه الوطنية منذ نعومة أظفاره . تلقاها
من إيمانه الصادق (وحب الوطن من الإيمان) ومن فطرته
السليمة ، وخلص نيته . ولما جاء عهد البعثات العلمية إلى
الخارج كان من حسن التوفيق أن اختاره محمد علي ضمن
أعضاء البعثة الأولى التي سافرت إلى فرنسا سنة ١٨٢٦ .
فجمع إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوروبا وعلومها وآدابها .
فأقتبس منها الشيء الكثير ، وازدهرت روحه الأدبية
على ضوء الحضارة الغربية

وقد استثار رجوله عن مصر عاطفته الوطنية العميقة

الجنان ، مجهزة بالصلاح والمدافع لا تجود به معاملنا . ولولم
يشهد رفاة مفاخر الجيش المصرى فى ذلك العصر لما جادت
قريحته بهذا النمر . وهكذا يتأثر الشاعر والأديب بالعصر
الذى يعيش فيه ، والبيئة التى تحيط به ، وبصور الحياة على
عهده . فكأنما هو قطعة من عصره ، أو امرأة تنطبع فيها
مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية ، ومظاهر الحالة
الفكرية والأخلاقية

وإنك لتلمح أينما عظمة الجيش المصرى من قول رفاة
فى قصيدة أخرى يخاطب فيها الجنود

يا أيها الجنود والقادة الأسود
إن أمكم حمود يعود هامى المدمع
فكم لكم حروب بنصركم تؤوب
لم تشكم خطوب ولا اقتحام معبع
وكم شهدتم من وغي وكم هزتم من بنى
فن تمدى وطنى على حاكم يصرع

وتتحل روحه الوطنية المتطلعة إلى الحرية فى تعريه
نشيد الحرية (المارسلير) فإن النفس لا تميل إلا إلى ما هو
محبب إليها . فهذا النشيد قد استثار ولا شك إعجاب رفاة
رافع ، حتى مالت نفسه إلى تعريه ، وإظهار ما احتواه من
المواطف الوطنية القديسة فى حلة عربية قديمة

وإذا تأملت فى شعر رفاة رافع الذى نقلنا طرفا منه
وجدت فيه قدما نسبيا إذا قارنته بأسلوب شعراء المدرسة
القديمة التى سبقته كالشبراوى والمطار والخشاب وغيرهم .

ويعد شعره دور الانتقال إلى دولة الشعر الحديثة التى حمل
لواءها البارودى وسماعيل سبرى وشوق وحافظ

حقا إننا إذا وضناها إلى جانب شعر شوق مثلا لجاء
فى المرتبة الثالثة أو الرابعة ؛ ولكن يجب ألا ننسى أن
رفاة رافع نشأ فى عصر كانت اللنة العربية وآدابها فى
دور تأخرها واضمحلالها . فله على نهضة الشعر والأدب

فضل لا ينكر عبد الرحمن الرافعى

أبناؤها رجال لم يشهم بحال
وجندم صنديد وقلبه حديد
وخصمه طريد بل مدرج فى كفن
وقال يدعو إلى افتداه الوطن بالنفس والمال

وفريز الوطن نخدمه برضا فى النفس نحمكه
مال المصرى كذا دمه مبذول فى شرف الوطن
تفديه المين بتناظرها والنفس بخير ذخاؤها
تهدى فى نيل نظاؤها بشرا العليا أعلى ثمن
وقال يصف الجيش المصرى ويشيد بمفاخره

ننظم جندنا نظما عجيبا يعجز الفهما
بأسد ترعب الخصبا فمن يقوى بناصلنا ؟

رجال ما لها عدد كمال نظامها المدد
حلاها الدرع والزرود سنان الرمح عاملنا
وهل طيولنا شبه كرايم ما بها شبه
إليها الكل منتبه وهل تخفى أصائلنا

لنا فى الجيش فرسان لهم عند اللقا شان
وفى الهيجا عنوان تهم به سواهلنا

فها اليدان و (الشقرا) سقت أذن العدا وقرا
كأنا ترسل الصقرا فن بينى يرسلنا

مدافنا القضا فيها وحكم الخلف فى فيها
وأهونها وجاقها تجود به معاملنا

لنا فى العدن تمحين وتنظيم وتمحين
وتأييد وتمكين منيعات معاقلنا

وهذه الأبيات لمن خير ما قيل فى وصف الجيش
المصرى . ولا شك أن رفاة قد استلهم شعره من مفاخر
الجيش فى عهده . فهو يصور المصر الذى عاش فيه تصويرا
صحيحا لا مبالنة فيه ولا إغراق . وإن قصيدته لتشبه
أن تكون لوحة فنية يخيل لمن ينظر إليها أنه يلح فيها
ككتائب الجيش المصرى تسير إلى ميادين الحرب تحف بها
أعلام النصر والظفر . تخوض غمار القتال بقلوب ملؤها
الشجاعة والإقدام ، ونجابه الأخطار قوية الإيمان ، تاجت